بسم الله الرحمن الرحيم

أصحاب الدولة والمعالي والسماحة والعطوفة والسعادة
أيها السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عندما عرض علي الأخ ابن الأخ الدكتور غيث عبنده أن يكون لي شرف المشاركة في حفل التأبين الكريم هذا بأداء شهادتي، ترددت قليلا خشية أن لا أفي الفقيدَ كلَ حقه في عجالة من الوقت.فقد جمعتني به رحمه الله علاقة امتدت أكثر من أربعين عاما عايشته على امتدادها في البيت وخارجه مما أتاح لي الاطلاع عن قرب على الكثير من سجاياه ومناقبه مما قد يضيق الموقف عن الإشارة إليها.

وإن كنت قد اكتفيت بالإشارة إلى البعض منها مستشهدا ببعض الأمور أو الحوادث أو المواقف أو العلاقات الشخصية فما ذلك إلا لقناعتي أنها إنما تدل على بعض مناقبِ الرجل وسجاياه.

لقد كان أول ما تعرفت إلى الفقيد في لندن عام 1965 بمبادرة منه وكان هو يدرس الأرصاد الجوية في الامبريال كوليج وأنا أدرس علم المكتبات والمعلومات في اليونيفرستي كوليج/وكلاهما علم جديد لم يكن يعرفه الكثير في الأردن، وكان ذلك مدار استغراب جمهور طلبة الطب والهندسة والاقتصاد في جامعة لندن. ولا أدري إن كان لذلك أثر في تقاربنا،ولكن منذ ذلك الحين كان/لي دوما نعم الصديق بل نعم الأخ الكبير الناصح الحاني.

وبعد عودتنا إلى عمان شاءت الظروف، أو لنقل حسن حظي، أن نتجاور في السكن في جبل اللويبده، وتتابعت منذ آنذاك علاقة بيننا هي حتما أكثر من الصداقة أو الجيرة، وأكاد أزعم أنني وعائلتي أصبحنا في فترة جزءا من عائلته وأهله في عمان واربد، وربما هذا ما أتاح لي أن اطلع على الكثير من أموره الخاصة وحتى العائلية.

لقد كان رحمه الله كريما عفيف النفس واللسان، نظيف اليد، مضيافا محبا لفعل الخير، كريم الأخلاق، ودودا، مرحا، خفيف الظل، حسن النكتة،/محبا لوطنه وبلده حتى العشق. واستطيع أن أسوق على كل سجية من سجاياه هذه/حوادث وقصصا عرفتها واقعا عايشته به عبر

هذه السنين التي نافت على الأربعين، وأراني اكتفي بالإشارة إلى بعضها.

منذ البداية في لندن تجلت لي في الفقيد مناقب كثيرة قد يكون أبرزها في حينه، وقد استمرت هذه معه طيلة حياته، حبه للآخرين خاصة لأبناء بلده، يقدم لهم ما يستطيع من عون ومساعدة. ولو كنت أنا مثلا لذلك، لقلت أن المرحوم فقد سخر لي ولعائلتي - ولم يكن على معرفة سابقة بنا - تجربته وخبرته في الحياة في انجلترا وأمورها المعاشية، ولم أكن الوحيد في ذلك فقد شاهدت فيما بعد كيف كان يهرع إلى مساعدة كل وافد أردني جديد إذا ما علم به. وقد ساعدني في البدء في أمور السكن على سبيل المثال، وشؤون حياتيه أخرى، وبكرمه العفوي الأصيل أصر ببساطته الأردنية التقليدية أن يقدم لنا (انزالة) في أول يوم شاركناه به في السكن في نفس البناء.

ومرة أخرى لم أكن الحالة الوحيدة في تلقي كرمه واهتمامه ومساعدته، فقد كان لكثير من الطلبة الأردنيين نعم الأخ الكبير الحاني المساعد والمعين، وذلك رغم صعوبة الدراسة وضيق الوقت، فقد كان يشعر - كما كان يردد - أنه يؤدي واجبا وطنيا بتقديم الخدمة والعون إلى أبناء وطنه، وقد تكون هذا بوادر معرفتي لصفة

حب الوطن المنغرسة في أعماقه والتي يعبر عنها من خلال علاقته بالآخرين وحبه لهم ومساعدتهم وتقديم العون لهم.

وهنا – بعد عودتنا إلى الوطن – تشاركنا، شأن الأصدقاء – ليس فقط في الزيارات أو السهرات – والتي كان بحقٍ نجمها بخفة ظله ووداده – بل كنا في العطل نتشارك الرحلات، وفي هذا أيضا كان هناك ما ينم عن عطاء الرجل للآخرين وحبه لبلده: فمن الحمة إلى أم قيس، ومن عراق الأمير إلى البحاث ووادي الشتا، ومن وادي خالد ونهر اليرموك إلى وادي اليابس أو الريان ونهر الأردن، والى سيول الزرقاء وحسبان والوالة والموجب، إلى سدود الجيزة واليادودة وأحراش أبو جابر وجرش، والى الأزرق وقصور الصحراء وبعض السدود الترابية في القطرانه وغيرها ... وفي كل هذا وغيره الكثير تجلت لي في الفقيد خصلتان من خصاله: أولاهما أنه رحمه الله كان معلما عمليا بالفطرة. فهو يريد لمن حوله – خاصة الأبناء – أن يتعلموا وأن يعرفوا بالمشاهدة الحية المزيد عن الأردن غير ما يقرأونه في الكتب أو يسمعونه عبر الأثير، إذ كان يؤمن – وهذه هي الخصلة الثانية في هذا المجال – أن من أولى خطوات التعلق بالوطن وحبه معرفة جماله وتراثه وثرواته، كان لحبه لوطنه يريد أن يغرس معالمه وتضاريسه في وجدان الأصدقاء والأهل، وبخاصة الأبناء.

كان رحمه الله معلما بالفطرة، وإن كان قد ترك التعليم الرسمي في الكلية العلمية الإسلامية بعد فترة بسيطة من حياته الوظيفية، فقد استمر في التعليم الواقعي غير الرسمي طيلة حياته، فهو لم يكن يتوقف عن العطاء من علمه ومعرفته وتقديمه لمن حوله وليس لأبنائه وحسب، وقد كان مولعا بالشرح والتبسيط والتعليل وربط الظواهر بالأسباب، بدءا من شرحه لنا في لندن عن أطروحته حول الجت ستريم وأهميته وأثره على الطقس والمطر وما إلى ذلك وعلاقته بطقسنا في الأردن بذلك، مرورا بتفسير أي ظاهرة أو حدث خاصة ما له علاقة بعلمه وتخصصه. وكم نلنا من دروسه في ليالي الصيف عن النجوم والكواكب والأبراج، وفي الشتاء عن عوامل الطبيعة والمطر والبَرَد والثلج.

حتى الأغاني الشعبية التي كان مولعا بها كان يشرحها لنا يبرز جمالها بتوضيح معانيها وكم يعني اختيار مفردة قالها الشاعر وليس مرادفا لها ولماذا اختار هذه الكلمة بالذات وليس بديلها.

وهنا سمة أخرى من سماته رحمه الله قد لا يعرفها الكثيرون عنه وهي حبه للغناء الشعبي الأردني. فقد كان يحفظ منه الكثير جدا ويردده.

وكان رحمه الله فاكهة سهراتنا وروحاتنا وغدواتنا بغنائه وحدائه. حتى في لندن، كانت اللقاءات غالبا ما تبدأ أو تتخللها، أو تختتم منه بإهزوجة أو ترويدة شعبية. وأدعي أنني حفظت منه الكثير، وسمعت منه بعض ما سمعت من الإذاعة والتلفزيون بعد ذلك بسنوات، وربما كانت إحدى هواياته جمع وحفظ وأداء هذه الأغاني خاصة ما موضوعه الغزل والتشبيب والعشق. وكم كان يطرب ويطربنا بالشعر أو الغناء الشعبي المكشوف أو المبطن المعاني ويقول إن الأردنيين سبقوا نزار قباني وغيره من شعراء المرأة إلى ذلك.

ورغم تخصصه العلمي الجاد فقد كان رحمه الله حاضر النكتة، خفيف الظل تهكميا إلى أقصى ما يتصوره المرء حتى لينال أحيانا بتهكمه أو تعليقاته اللاذعة مهنته، كعدم تحقق التنبؤات الجوية، وربما أصابها بتعليقاته المليحة الكثير قبل أن يسبقه أحد منا إلى ذلك قاطعا علينا متعة التعليق أو ربما الشماته.

كان رحمه الله نظيف اللسان، حافظا غيبه الآخرين، رؤوفا عادلا بخصامه ولا أبالغ أن قلت أنني لم أسمعه يوما يذكر بتجن سيئات أحد، أو ينال من عوراته، أو يطاله بلسانه. يصفح بعفوية وصمت، ويتجنب الانتقام أو يعفو عن الإساءة دون عتاب أو منّة. حتى عندما

حاقه ظلم في الوظيفة ، وتحامل-وذلك قبل أن يتولى مسؤولية الإدارة،- نافح عن حقه برجولة دون حقد أو تجن على من أساءوا إليه.

في وظيفته، لم يغتن من الوظيفة بل قد يكون أغناها بعلمه وعطائه ونزاهته. عاش بمقدار راتبه أو بعضه، إذ كان يعطي منه على محدوديته عمله الخيري والتطوعي.

لم يكن يوما غنيا بماله، ولكنه كان دوما غنيا في عطائه وعزة نفسه، لم يسع يوما من خلال الوظيفة إلى مكسب شخصي أو نفع عائلي، ولكنه سعى إلى المساهمة في أعمال الخير والجمعيات،وأعرف – وربما كما يعرف الكثيرون منكم – كيف كان يسعى لجمع التبرعات للمعوزين والأعمال الخيرية وشؤون الجمعيات. ولم يكن يعطي العمل التطوعي والخيري من ماله القليل فقط، بل الكثير من جهده ووقته حتى كان البيت يشكو منه أحيانا.

كان رحمه الله رضيا، قنوعا بما قسمه الله له، يسعى الى الأفضل دون أن يتجاوز حق الآخرين، أو حق الدولة والوطن. كان عفيف النفس نظيف اليد، وقد يشهد له بذلك أنه كان حتى ما قبل السنة الأخيرة

من حياته يعيش في بيت مأجور، ولم يملك عقارا غير ما ورث في اربد عن أهله إلا الشقة التي تملكها في أواخر عمره.

وكذلك الأمر بالسيارة فهو لم يمتلك من ماله سيارة قط، حتى سيارة البيجو الحكومية القديمة والتي نالت وناله منا الكثير من التعليقات بسببها – لم يستبدلها إلا عندما أبدلها له ذوو الأمر.

ولعل حادثة تفرض نفسها في هذا المقام. فقد كان جلالة المغفور له الملك الحسين رحمه الله يتصل أحيانا بالفقيد في المنزل ليلا يسأله عن الأحوال الجوية خاصة ما يتعلق منها بالطيران. ومرة قال له جلالة المغفور له لكنني سمعت خلاف ما تقول من محطة كذا الفضائية، أو لم تسمعها وتشاهدها. فأجاب أبو غيث بالنفي، واستحى أن يقول أنه لا تتوفر في بيته مثل هذه التكنولوجيا أو أنه لا يقوى على شرائها. ولكن جلالة المغفور له أدرك ذلك بفطنته فأمر له بجهاز ساتلايت وملحقاته ... وكذلك الأمر بسيارته، والأمثلة كثيرة يضيق المقام عن تكرارها.

لقد كان رحمه الله محبا لبلده ليس إلى درجة العشق كما يقال، بل ربما إلى درجة التوحد، وقد يكون من حبه للأردن عزوفه عن العمل

خارجه. وكنت مثل غيري من الأصدقاء والأهل نستغرب رفضه عروض فرص عمل مغرية في الخارج ولكنه كان يقول وفي أكثر من مرة أنه يفضل أن يبقى هنا يربط اسمه بالأرصاد الجوية الأردنية، وإن كان هذا لم يقلل من مساهماته العلمية والعملية على الصعد العربية والإقليمية والدولية.

لم يكن رحمه الله جزءا من تيار سياسي أو مدرسة فكرية، ولم يكن يميزه في هذا المجال غير حبه للأردن وإخلاصه له ... وربما كان أحد معايير علاقته بالآخرين ومصادقته وتقديره لهم دون اعتبار لتياراتهم السياسية أو مدارسهم الفكرية ... هو فقط مقدار حبهم للأردن وإخلاصهم له.

لقد مات فقيدنا قرير العين، نظيف اليد، ودودا، محبا، معطاء، مخلصا لأهله وأصدقائه وبلده.

مات تاركا وراءه علما ينتفع به بإذن الله، وصدقة جارية في ما قدم من أعمال خيرية، وأولادا صالحين إن شاء الله

فرحمة الله عليه

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.